

الشهادة توحيد

والتوحيد شهادة

المستقوي بالله

1440 هجري



بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله،

إننا لا نزال المرة بعد المرة نبين هذا الأصل الذي بنيت عليه دعوة جماعة المسلمين التجديدية، بالتأصيلات العلمية التي نتدارسها وإياكم، لذلك سنتناول في خطبتنا هذه الأدلة الشرعية التي تقوم عليها الشهادة الثالثة التي يجب على من أراد دخول الإسلام أن يقر بها، وهي شهادة أن أمة محمد اهل كتاب، ونبين أهميتها وحكم المخالف فيها ونرد على شبهات الجهلة والمتأولين إن شاء الله وذلك على النحو التالي:

أولاً: الأدلة من القرآن العظيم وهي كالآتي:

الدليل العام من قوله تعالى "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" فهذا عام في كل حق أقر به المسلم وشهد به وأشهد عليه.

والدليل العام في الشهادة بكل ما أنزل الله، كما قال الله تعالى:

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ سَوَاءٌ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

وهذه شهادة من بني آدم على ربوبية الله عز وجل:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۖ شَهِدْنَا ۚ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ

وهذه شهادة بأمر مخصوص معلوم من قول إخوة يوسف:

ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا

وفي الآية التالية سعي من الحواريين ليشهدوا على مائدة السماء :

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ

وفي هذه الآية ذكر شهادة المشركين على أنفسهم بالكفر:

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ

فلا بين الأمرين، إما شهادة الإسلام وإما الشهادة بالكفر.. فالامتناع والإعراض عن شهادة الإسلام وتركها، يمثل شهادة على النفس بالكفر والشرك في واقع الأمر. والشهادة النافعة، هي الشهادة بتوحيد الله

وتصديق رسوله في كل ما جاء به مع القيام بما يقتضيه ذلك قولاً وعملاً، كما في قوله عز وجل:

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

ومن الأدلة السابقة يتبين مشروعية الشهادة على كل حق، والشهادة على كل ما أنزل الله، والشهادة على ربوبية الله، والشهادة على أمر خاص معلوم مثل السرقة، ويتبين أن الشهادة تكون على أساس الحجة والبينة مثل مائدة السماء وأن الممتنع عن شهادة الحق، شاهد بالباطل، وأن الشهادة تكون بالأعمال كما تكون بالأقوال. وقد سمي المقتول في سبيل الله شهيداً لقيامه بشهادة الحق في جنب الله حتى قتل. ولأن عمله يشهد له بالصدق والإيمان والجنة، قال الله تعالى " قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين " وقال " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فممنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً."

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمِّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ
الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ)
رواه البخاري ومسلم. فهذا الحديث يدل على عدم الاقتصار على قول
لا إله إلا الله و محمد رسول الله دون الإقرار بما تقتضيه هاتاه الشهادة
من مقتضيات الإيمان الصحيح و التوحيد الخالص، فإن كان الناطق
بالشهادتين مقرا بعبدية عيسى عليه السلام ووالدته مريم فإسلامه
يكون صحيحا وإن لم ينطق بالشهادة على النحو الذي في الحديث، أي
" أشهد أن عيسى عبد الله و ابن أُمته " بل إن الإقرار بهذا يكون تابعا
للإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلغ عن الله بأن عيسى
عبد الله و ابن أُمته، فشهادة أن محمد رسول الله تكفي عن شهادة أن
عيسى عبد الله و رسوله في الأصل، و تكفي عن شهادة أن الجنة حق و
النار حق، فالأصل أن من شهد أن محمدا رسول الله مقرر بكل ما جاء
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاته الشهادة لها نفس شروط لا إله
إلا الله، و هي العلم و اليقين و القبول و المحبة و الصدق و الانقياد و
الإخلاص.

ومن شهد بإخلاص وصدق أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقد علم يقينا أن عيسى ليس إله وقبل ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم وانقاد له وأحبه.

ومن نطق بالشهادتين ولم يشهد أن عيسى عبد الله وابن أمته، فليس صادقا في شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ولا يقبلها ولا ينقاد لها ولا يعلم معناها بل يشك فيه وهو مشرك غير مخلص، أي أنه لم يحقق شروطها.

ولدينا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من شهدتم له بالخير دخل الجنة ومن شهدتم له بالشر دخل النار أنتم شهداء الله في أرضه " الذي يدل على أن الشهادة تكون للناس على العموم بالخير وبالشر، وفي الحديث الأول شهادة بخير خاص وهو الإقرار بعبودية عيسى ووالدته مريم، وحقية الجنة والنار.

ثالثا: لقد وقع الإجماع من الصحابة على أن المخالف في أمر خاص غير النطق بالشهادتين، فإن توبته تكون بدعوته إلى ما خالف فيه كدعوة المرتدين إلى إيتاء الزكاة لدخول الإسلام.

وبهذا نعلم أن الشهادة ليست مقتصرة على قول لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله بل تشمل كل حق وكل خير وكل توحيد وكل ما أنزل الله، وأن الناطق بالشهادتين يجب أن يعلم معناهما ويعمل بمقتضاهما حتى تكون شهادته مقبولة وصحيحة. وإذا خالف فيهما عموما دعي إليهما عموما وإذا خالف في أحد مقتضياتهما خصوصا دعي للموافقة على ما خالف فيه خصوصا.

إذن عندما ندعو الناس ليشهدوا أن أمة محمد أهل كتاب خصوصا، فلا بد من معرفة أمرين اثنين:

١. أن هذه الشهادة من مقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

٢. أن الناس مخالفون في هذا الأصل ومناقضون بذلك للشهادتين وقد دل على أن أمة محمد أهل كتاب القرآن والسنة وأثار الصحابة التي لم يخالفهم فيها أحد، ففي تفسير الطبري لقوله تعالى " ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون "

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: "ليسوا سواء"، ليس فريقا أهل الكتاب، أهل الإيمان منهم والكفر سواء. يعني بذلك: أنهم غير متساوين. يقول: ليسوا متعادلين، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد، والخير والشر.

وإنما قيل: "ليسوا سواء"، لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله: وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ، ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده، المؤمنة منهما والكافرة فقال: "ليسوا سواء"، أي: ليس هؤلاء سواء، المؤمنون منهم والكافرون. ثم ابتداء الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب، ومدحهم، وأثنى عليهم، بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يقول: لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم. أي أن أمة محمد هي الأمة القائمة ويقصد ابن مسعود رضي الله عنه أمة محمد قبل الافتراق إذ كانوا كلهم مسلمين، وعطف أمة محمد على أهل الكتاب عطف للخاص على العام، والعام مخصص باستثناء أمة محمد القائمة منه.

لقد توضّح لنا مما سبق أن أمة محمد المؤمنة، جماعة المسلمين، من أهل الكتاب، وهذا قبل أن تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، لكن بعد أن تفرقت، هل تسمى أيضا أهل كتاب أم تزول عنها التسمية؟ لو قلنا إن اسم أهل الكتاب يزول عن الفرق الضالة التي تنتسب إلى القرآن وإلى محمد صلى الله عليه وسلم، لوجب القول بزواله عن الفرق الضالة من أمم موسى وعيسى لافتراقها أيضا إلى واحد وسبعين وإلى اثنتان وسبعين فرقة، فهذا معلوم بوضوح عن طريق القياس، فعلة كونهم أهل كتاب لا تزول عنهم بعد الافتراق، إنما الذي يزول عن الفرق الضالة هو علة كونهم مؤمنين مسلمين، وهو الإيمان بالكتاب كله. فالفرقة لو آمنت بالكتاب كله كانت مسلمة ولو تركوا الإيمان بالكتاب والبعث بالكلية كانوا مشركين وثنيين، وبما أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض فهم من الذين كفروا من أهل الكتاب.

وأنتم ولله الحمد تشهدون بهذا، وعسى أن يكون منكم من يؤمن به إيمانا راسخا، والغاية عندنا أن تعلموا بأن هذا الأمر الخاص هو من مقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الذي يجب أن

يقر به المرء ليكون مسلماً كما لا بد له أن يقر بأن عيسى عبد الله وابن أمته وأن الجنة حق والنار حق .

والمخالف في هذا، متبع لهواه، مكذب لله ولرسوله، مناقض للشهادتين التي ينطق بهما، متبع غير سبيل المؤمنين، مخالف جماعة المسلمين فيما لا يصوغ الخلاف فيه .

أيها الإخوة،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا أي أن قول لا إله إلا الله كاف لأجل الفلاح !!!

بينما نعلم أن دخول الإسلام إنما يكون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فكيف يفلح من قال لا إله إلا الله؟؟

اعلم يرحمك الله، أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا " موجه للمشركين الذين يعبدون الأوثان ويسمونهم آلهة، ولا يؤمنون بأن الله وحده من يجب عبادته. الذين قالوا " أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب " لذلك كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا لا إله إلا الله لأنهم بقولها يفارقون دين قومهم، ويتبعون رسول الله. أما إذا تعلق الأمر بكتابي كاليهودي الذي

يقول لا إله إلا الله فإننا ندعوه ليشهد بأن محمدا رسول الله، لأنه إنما يفارق دين اليهود بشهادة أن محمدا رسول الله، ولا يفارقه بقوله لا إله إلا الله دون أن يشهد أن محمدا رسول الله .

والناس اليوم يقولون أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وهم مع ذلك ليسوا مسلمين. كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة هي الجماعة.

والفرق الاثنتان وسبعون إن دعوا ليقولوا لا إله إلا الله ومحمد رسول الله فإنهم بقولها لا يفارقون دين قومهم المشركين الناطقين بها، وهم متحاكمون لدستور البشر، مبدلون للدين، راضون بعبادة الأموات في القبور، ونشر الكفريات في السطور، عكس ما كان عليه الحال زمن الصحابة، حيث جماعة المسلمين وحدهم المختصون بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأما الفرق الضالة فلم يكونوا يقولونها. وليس السبب في هذا أن الشهادتين لا تقتضي مفارقة الكافرين ولزوم جماعة المسلمين، ولكن لأنهم لا يفهمون منها هذا المعنى ولا يقومون بمقتضاه، كما أن اليهود لم يكونوا صادقين في شهادة أن لا إله إلا الله

ولو كانوا صادقين لشهدوا أن محمدا رسول الله واتبعوه وأطاعوه صلى الله عليه وسلم. فاليهود مشركون ناقضون للإله إلا الله، وليسوا شاهدين بها وإن قالوها بالسنتهم. ولو قصدوا بقولها اتباع رسول الله لصلح أن يخاطبوا بما خوطب به المشركون "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

إخواني الأعزاء،

إن شهادة قومنا، الناطقين بالشهادتين، بأن أمة محمد أهل كتاب في هذا الزمن، وشهادة اليهود القائلين "لا إله إلا الله" أن محمدا رسول الله في زمن الصحابة لهما علة مشتركة من حيث كونهما علامة على مفارقة دين الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين وإقرار بشهادة جماعة المسلمين على الناس والتزام باتباعها ولزومها، فصح قياس شهادة أن أمة محمد أهل كتاب على شهادة أن محمد رسول الله في كون النطق بهما له دلالة الدخول في الإسلام.

ونحن نتكلم عن الزمان الذي نعيش فيه فلو فرضنا مجيء زمان يشهد فيه الناس أن أمة محمد أهل كتاب وهم مع ذلك يخالفون جماعة

المسلمين في أصل آخر من أصول التوحيد، فيكون الواجب هو دعوتهم إلى تصحيح الأصل الذي خالفوا فيه ويمتحنون به ليصح إسلامهم.

والمسلم الموحد إذا نظر في مذاهب الفرق الموجودة اليوم، وخاصة تلك المنتسبة للإسلام، سيجد أن جماعة المسلمين تفارق هاته الفرق كلها في أصولين أساسيين، وهي ما ندعو الناس للإقرار به حتى يفارقوا دين أهل الكتاب والكفار أجمعين ويوافقوا اعتقاد ومنهج جماعة المسلمين. وهي كالآتي :

١. شهادة أن أمة محمد أهل كتاب وإشهاد الجماعة على ذلك؛

٢. البيعة على الإسلام والتوحيد والخير عموماً؛

فالأصل الأول إقرار بشهادة جماعة المسلمين على الناس كما قال الله تعالى " لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا "، ويقتضي أن المخالفين لجماعة المسلمين من قومنا هم من الفرق الواجب اعتزالهم، الذين كفروا من أهل الكتاب. والأصل الثاني متعلق بالبيعة والإتباع ولزوم الجماعة في الأصول والفروع والإقرار بمنهج وعقيدة المسلمين.

ومن المعلوم أن البيعة فيها من التفصيل ما ليس في نطق الشهادتين، ومعلوم أيضا أن الدين فيه تدرج ومرحلية، يعتبر فيها الاستطاعة والقدرة، ولذا فإن ناطق الشهادة على النحو الآتي " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأشهد أن أمة محمد أهل كتاب (كلها في النار إلا الجماعة الذين هم على ما كان عليه رسول الله صلى الله وأصحابه) " يكون مسلما لأنه ما نطقها إلا اتباعا لجماعة المسلمين، وإشهادا لنا على إسلامه، وموافقة على شروط الجماعة، وبراءة ممن سواها من الفرق .

ويكون الناطق مبايعا على الإسلام مجتازا للحد الفاصل بينه وبين الكفر. فكفر القوم متمثل في عدم براءتهم من القوم الحاكمين بغير ما أنزل الله، وعدم اتباعهم لجماعة المسلمين، وهي جريمة سلبية قام بإصلاحها لما شهد على قومه بالكفر، وشهد شهادة المسلمين.

ويكون هذا المجتاز، حديث عهد بإسلام يلزمه تعلم نواقض الإسلام وفرائضه، والواجبات والمحرمات الأكبر فالأكبر والأقرب فالأقرب.

فالبيعة على الإسلام أولى البيعات، وتكون بزوال علة التكفير، وهي هنا (الرضى بالكفر) الذي عليه القوم، وإزالة العلة تكون بإعلان عدم

الرضى عنهم والبراءة التامة منهم وموالات الجماعة. فإذا صحت بيعة الإسلام بأركانها، فهي متضمنة للبيعة على ترك المحرمات والطاعة في المعروف.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.